الآداب للدراسات اللغوية والأدبية
مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
ISSN: 2707-5508 (EISSN): 2708-5783
العدد الأول 1
ديسمبر 2019

أثر السياق في التوجيه البلاغي

أ.م.د. صالح بن أحمد بن سليمان العليوي*

ملخص:

يعالج هذا البحث أثر السياق في التوجيه البلاغي، ويُقصد بالسياق: مجموع الظروف التي تحيط بالكلام، وجملة العناصر المكونة له أو للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصيتا المتكلم والسامع، وتكوينهما "الثقافي" وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع –إن وُجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة، وكل ما يصدر أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيًّا كانت درجة تعلقه.

وتجدر الإشارة إلى أن البلاغيين قد أدركوا فكرة السياق خلال تناولهم لفكرة العلاقة بين المقال والمقام (أو مقتضى الحال)، فإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل السياق اللغوي فإننا نجد أن البلاغيين قد اعتمدوا على السياق اللغوي في كثير من القضايا والأبواب البلاغية.

وتجدر الإشارة إلى أن البلاغيين قد أدركوا فكرة السياق خلال تناولهم لفكرة العلاقة بين المقال والمقام (أو مقتضى الحال)، فإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل السياق اللغوي، فإننا نجد أن البلاغيين قد اعتمدوا على السياق اللغوي، حيث اعتمدوا في الدرس البلاغي على الأبيات المفردة المنفصلة عن سياق نصوصها؛ لذا نجد بعض المحدثين يقرر أن نظرة البلاغيين القدامى لم تتجه إلى تحليل النص باعتباره وحدة كلية، إذ لم يرد في البلاغة العربية كلها تحليل قصيدة شعرية متكاملة إلا في حالة واحدة هي الاستثناء المؤكد للقاعدة، وهي قصيدة المتنبي التي حللها

* أستاذ البلاغة والنقد المشارك- قسم اللغة العربية-كلية العلوم والدراسات الإنسانية بمحافظة ثادق- جامعة شقراء- المملكة العربية السعودية.

حازم القرطاجني، غير أن هذا الكلام يحتاج إلى نظر، وهذا ما يسعى إليه هذا البحث من بيان دور البلاغيين فيما يخص القضايا المتصلة بالسياق التي ظهرت في تراثنا البلاغي مثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفكرة المقام والمقال، والنظم، وغير ذلك من حديث البلاغيين حول أهمية السياق في تحليل القضايا البلاغية وتوجيه المعنى وتحليل التراكيب.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن جذور قضية (السياق) من خلال تناول علماء البلاغة لها، وإبراز الدور الذي نهض به علماء البلاغة في الدرس الدلالي، وبيان دور السياق في توجيه النصوص وبيان دلالتها وتماسكها.

The impact of context on rhetorical guidance

Dr. Saleh Bin Ahmed Bin Suleiman Al-Alaiwi

Abstract:

This paper deals with the impact of context on rhetorical guidance. The context refers to the sum of the circumstances that surround the discourse, the sum of its constituent elements or the verbal position. These include the personality of both; speaker and listener, their cultural background; people attended the situation rather speaker and listener, and a statement of the relationship. It also refers to factors like, social phenomena related, the verbal position of any emotion or any kind of response, and everything related to the verbal position whatever the degree of relation.

It is worth mentioning that the rhetorician have understood the idea of context while dealing with the idea of the relationship between the article and the maqam (or the case). If we consider the "article" as representing the linguistic context, we find that the rhetoric has relied on the linguistic context where they relied on the rhetorical lesson on individual verses separated from the context of their texts. Therefore; we find some modernists decide that the view of the ancient rhetoric did not tend to analyze the text as a whole unit, as it is not contained in the whole Arabic rhetoric analysis of an entire poem. It is a certain exception to the ruleonly inone case; a poem by Mutanabbi, which

الآداب مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

is analyzed by Hazim Cartagi. This attitude needs to be considered, and this is what the research seeks to clarify. The research seeks to shed light on the role of rhetoric in relation to issues related to the context that emerged in our rhetorical heritage, such as matching the speech to the case, and the idea of maqam and article, systems, and other talk rhetoric about the importance of context in the analysis of rhetorical issues orienting meaning and analyzing compositions.

This research aims to reveal the roots of the issue (context) as addressed by the rhetoric scholars, and highlight the role played by rhetoric scholars in the semantic lesson, and the role of context in the guidance of texts and indicate their significance and coherence.

الإطار العام:

1- موضوع البحث

يتناول هذا البحث أثر السياق في التوجيه البلاغي، ويُقصد بالسياق في هذا البحث مجموع الظروف التي تحيط بالكلام، وجملة العناصر المكونة له أو للموقف الكلامي؛ ومن هذه العناصر شخصيتا المتكلم والسامع، وتكوينهما "الثقافي" وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع –إن وُجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة، وكل ما يصدر أثناء الكلام عمن يشهد الموقف الكلامي من انفعال، أو أي ضرب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيًّا كانت درجة تعلقه.

ولعل من أهم خصائص السياق إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به "المتكلم" وسائر المشتركين في "الموقف الكلامي"، والسياق بذلك يشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية.وتجدر الإشارة إلى أن البلاغيين قد أدركوا فكرة السياق خلال تناولهم فكرة العلاقة بين المقال والمقام (أو مقتضى الحال)، فإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل السياق اللغوي، فإننا نجد أن البلاغيين قد اعتمدوا على السياق اللغوي، حيث اعتمدوا في الدرس البلاغي على الأبيات المفردة المنفصلة عن سياق نصوصها؛ لذا نجد بعض المحدثين يقرر أن نظرة البلاغيين القدامى لم تتجه إلى تحليل النص باعتباره وحدة كلية، إذ لم يرد في البلاغة العربية كلها تحليل قصيدة شعرية

متكاملة إلا في حالة واحدة هي الاستثناء المؤكد للقاعدة، وهي قصيدة المتنبي التي حللها حازم القرطاجني، غير أن هذا الكلام يحتاج إلى نظر، وهذا ما يسعى إليه البحث من بيان دور البلاغيين فيما يخص القضايا المتصلة بالسياق، التي ظهرت في تراثنا البلاغي مثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفكرة المقام والمقال، والنظم، وغير ذلك من حديث البلاغيين حول أهمية السياق في تحليل القضايا البلاغية وتوجيه المعنى وتحليل التراكيب.

وتأسيسًا على ما تقدم، ومن منطلق أهمية السياق في الدرس البلاغي وأثره في توجيه قضايا متعددة في التراث البلاغي، فقدآثرت تناول هذا الموضوع، نظرًا إلى أهميته في معالجة القضايا البلاغية التي يؤثر فيها السياق على التوجيه في القضايا البلاغية المختلفة، وهذه المعالجة تأتي من خلال بيان مفهوم السياق وأثره عندالبلاغيين، وبيان طريقة معالجتهم له، وغير ذلك مما سوف يكشف عنه هذا البحث.

2- أهداف البحث

يهدف البحث إلى ما يأتي:

أولًا: الكشف عن جذور قضية (السياق) من خلال تناول علماء البلاغة لها.

ثانيًا: تأصيل النظريات الحديثة من التراث البلاغي، ومحاولة العودة بها إلى مصادرها العربية الأصيلة.

ثالثًا: محاولة استكمال جوانب القصور في توجيه القضايا البلاغية في التراث.

رابعًا: إبراز الدور الذي نهض به علماء البلاغةفي الدرس الدلالي.

خامسًا: بيان دور السياق في توجيه النصوص وبيان معانيها وتماسكها.

سادسًا: إبراز عناصر السياق التي وردت في كتب التراث البلاغي، ومحاولة الكشف عنها، وربطها بالآراء الحديثة في هذا المجال.

3- منهج البحث

اعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يصف الظاهرة موضوع الدراسة من خلال قراءة تحليلية للمصادر البلاغية، ثم جمع النصوص التي ذكرها البلاغيون، وتصنيفها، بعد ذلك يأتي دور تحليل النصوص وربطها بما ذكره المحدثون حول هذه القضية، ليتبين للباحث الدور الذي نهض به البلاغيون؛ لذلك فلابد أن تتوافر للباحث مجموعة من الأدوات تتمثل في:

أولًا: قدرته على الوصف والتحليل للنصوص التراثية.

ثانيًا: قدرته على ربط النص بما سيق حوله من آراء قديمة وحديثة.

ثالثًا: إلمامه بالدراسات الحديثة التي تناولت موضوع الدراسة حتى يتبين موقف علماء اللسانيات الاجتماعية والنصية من هذه القضية.

4- الدراسات السابقة

لم تُعن دراسة -على حد اطلاعي- بتناول موضوع:أثر السياق في التوجيه البلاغي، إلاَّ أن هناك دراسات لامست بعض الجوانب من الموضوع، وقد اطلع الباحث منها على:

أولًا: دراسة محمد بنعدة، السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري[1]، وهذه الدراسة تركز على بيان السياق ومفهومه وعناصره؛ متخذة من تفسير ابن جرير مادة لها، وقد تناول الباحث مفهوم السياق وأهميته وقواعده العامة من خلال التفسير، كذلك عناصر السياق المقالي والمقامي عند الطبري، وهي دراسة اتخذت من تفسير الطبري مادة لها، ولا علاقة لها بهذا البحث.

ثانيًا: دراسة ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق[2]، وهي دراسة نظرية تركز على الدراسة اللغوية للسياق، عرض فيها الباحث للسياق في التراث، والفكر اللغوي العربي، فناقش مفهوم السياق وتحديده عند اللغويين والمفسرين والأصوليين، ثم نظرية السياق في الفكر العربي، هذا في الباب الأول، أما الباب الثاني فتناول: سياق النص، وعرض فيه الباحث لمفهوم النص ومكوناته، والعلاقات المعجمية والتركيبية والسياقية، ثم جاء الباب الثالث عن: سياق الموقف، وعرض فيه الباحث لوظائف اللغة، وعناصر سياق الموقف، وهذه الدراسة من الدراسات المتقدمة، إذ اعتمد فيها الباحث على التراث العربي والفكر في جميع الأبواب، إلَّا أنها لا تتداخل من قريب أو بعيد مع موضوع هذا البحث.

ثالثًا: دراسة خلود إبراهيم سلامة العموش عن: الخطاب القرآني. دراسة في العلاقة بين النص والسياق. مَثَلٌ من سورة البقرة [3]، قسمت الباحثة الرسالة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، جاء الفصل الأول عن: الإطار النظري للدراسة، تناولت الباحثة فيه: مفهوم مصطلحات النص والسياق والخطاب، وتحدث الفصل الثاني عن: الخطاب القرآني في سورة البقرة بين حدود النص وآفاق

السياق، وركزت فيه الباحثة على العلاقة بين النص والسياق في الخطاب القرآني في سورة البقرة، أما الفصل الثالث فجاء عن الخطاب القرآني في سورة البقرة، دراسة في العلاقة بين النص والسياق في كتب علوم القرآن والتفسير وأصول الفقه وإعراب القرآن، والكتب الحديثة العربية والغربية، وهي دراسة لغوية نظرية تركز على سورة البقرة، ولا تتلاق مع قضايا ومسائل هذا البحث.

رابعًا: دراسة نوح الشهري، أثر السياق في النظام النحوي مع تطبيقات على كتاب «البيان في غريب القرآن لابن الأنباري» [4]، تناولت الدراسة، النحو والمعنى، والتعريف بابن الأنباري وكتابه في تمهيد الدراسة، ثم قسمت الدراسة على أربعة فصول، جاء الفصل الأول منها عن: مكونات المعنى، حيث ركز فيه الباحث على أصول الألفاظ، والبنية الصرفية والتصورات وقصد المتكلم والسياق، أما الفصل الثاني فقد جاء عن: مكونات النظام النحوي، ركز فيه الباحث على الإعراب ونظرية العامل، والمعاني النحوية، ونظام الجملة، وجاء الفصل الثالث عن: مكونات السياق القرآني، وركز فيه الباحث على تحديد مكونات السياق، وقواعد توجيه السياق القرآني، ثم جاء الفصل الرابع عن: تطبيقات سياقية على النظام النحوي، ركز فيه الباحث على أثر السياق في الإعراب والعامل، ومعاني الأدوات والحروف وعود الضمير، والحذف والتقدير والتعليق، والدراسة بهذا العرض تصنف في إطار تخصص آخر غير تخصص وتوجه هذا البحث.

خامسًا: دراسة سعيد بن محمد الشهراني، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة[5]، قسم الباحث دراسته إلى بابين، الأول عن: الدراسة النظرية للسياق القرآني، تناول فيه الباحث تعريف السياق، وعناية العلماء به، ثم عرَّف بالمدرسة العقلية، وموقف علمائها من السياق القرآني، أما الباب الثاني فجاء عن: الدراسة التطبيقية للسياق القرآني، تناول فيه الباحث أثر السياق في تفاسير المدرسة العقلية في جانب الاعتقاد، وكشف المعاني، وعلوم القرآن، والأحكام الفقهية... إلخ.

سادسًا: دراسة، عبد الحكيم القاسم عن: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير[6]، والدراسة قسمان، الأول: الدراسة النظرية وفيها التعريفات المتعلقة بالسياق، والثاني: الدراسة التطبيقية وفيها أبرز ما في منهج المفسر من عناية بالسياق.

وهناك مجموعة من الدراسات الجامعية والكتب والترجمات اتخذت من السياق وعلاقته بالمعنى محورًا لها، من هذه الدراسات:

أولًا: دراسة إبراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث[7].

ثانيًا: دراسة عبد النعيم عبد السلام خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين[8].

ثالثًا: اللغة والمعنى والسياق، لجون لاينز، ترجمة الدكتور/ عباس صادق[9].

رابعًا: السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، لزيد عمر عبد الله[10].

خامسًا: قرينة السياق، لتمام حسان[11].

وهناك مجموعة أخرى من الدراسات تمركزت حول السياق وربطه بالأساليب العربية، والبحث عن أصوله التراثية من خلال تناول علم الدلالة واللسانيات الحديثة، من هذه الدراسات:

أولًا: دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، لدردير محمد أبو السعود[12].

ثانيًا: دراسة محمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق- دراسة تطبيقية[13].

ثالثًا: دراسة عيسى شحاتة عيسى، سياق الحال في اللسانيات الحديثة[14].

إن كل ما سبق ذكره من دراسات جامعية، وكتب مترجمة أو غير مترجمة، أو أبحاث منشورة، لا تتعارض مع هذا البحث، ولا تلتقي معه، إذ إنها تتصل باللسانيات النصية وعلوم اللغة والنحو، أما هذا البحث فيركز على التراث البلاغي في معالجة موضوعه.

5- أبعاد الدراسة

المقدمة: الإطار العام، ويشمل:

1- موضوع البحث.

2- أهداف البحث.

3- منهج البحث.

4- الدراسات السابقة.

5- أبعاد الدراسة.

المبحث الأول: السياق لغة واصطلاحًا

- المطلب الأول: السياق لغة.
- المطلب الثاني: السياق اصطلاحًا.
- المطلب الثالث: السياق عند المحدثين.

المبحث الثاني: السياق عند البلاغيين وأثره في التوجيه

- المطلب الأول: السياق والعلاقة بين المقال والمقام.
- المطلب الثاني: السياق وفصاحة الكلمة.
- المطلب الثالث: بين "المقام" أو "مقتضى الحال" و"سياق الموقف".

المبحث الثالث: اهتمام البلاغيين بالسياق في دراسة التركيب وتحليله.

- المطلب الأول: المجاز بالحذف.
- المطلب الثاني: التركيب بين الحقيقة والمجاز.
- المطلب الثالث: التركيب ومعنى المعنى.

المبحث الرابع: السياق والقصد البلاغي.

- الخاتمة والنتائج.
- المصادر والمراجع.

المبحث الأول: السياق لغة واصطلاحًا

المطلب الأول: السياق لغة

من الجذر اللغوي [س و ق]، والكلمة مصدر [ساق يسوق سوقًا وسياقًا]؛ فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع[15]، وتورد المعاجم في المادة اللغوية للفظة السياق (س.و.ق)، طائفة من المعاني يعنينا من بينها اثنان:

الأول: التتابع أو التوالي (انساقت الإبل: تتابعت، ومساوقتها أي: متابعتها السير كأن بعضها يسوق بعضًا)، ففِي حَدِيثِ الْقِيَامَةِ «يكْشفُ عَنْ سَاقِهِ» السَّاقُ فِي اللُّغَةِ الأمرُ الشديدُ، وكشْفُ السَّاقِ مثَلٌ فِي شدَّة الأمْر، كَمَا يُقَالُ للأقْطَع الشَّحيح: يَدُه مغْلولة، ولا يَدَ ثَمَّ وَلَا غُلَّ،

وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ فِي شِدَّةِ البُخْل، وَكَذَلِكَ هَذَا لاَ سَاقَ هُناكَ، وَلَا كَشْف، وأصلُه أنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وقَع فِي أمْرٍ شَدِيدٍ يُقَالُ شمَّر عَنْ ساعِده، وكشَف عَنْ ساقِه؛ للاهْتمام بِذَلِكَ الأمْر الْعَظِيمِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الْحَدِيثِ[16].

الثاني: الموازاة أو التقارن (تساوق الشيئان: تسايرا أو تقارنا، ساوقه: باراه أيهما أشد وأسرع، وساق معه، وتابعه وسايره وداراه، جاء في المعجم الوسيط: «(السِّيَاق)... وَسِيَاق الْكَلَام تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ، والسياق: النزع، يُقَال: هُوَ فِي السِّيَاق: الاحتضار»[17].

ومن المفيد أن نقول إن هذين المعنيين المرتبطين بالدلالة اللغوية للفظة السياق يمثلان ركيزتي مفهومها الاصطلاحي، ذلك المفهوم الذي يعني تحققه في أي خطاب لغوي أن تتوفر فيه طائفة من العناصر التي يتمثل بعضها في تتابع وحداته اللغوية وانتظامها في نسق واحد (سياق المقال)، وبعضها الآخر في البيئة الخارجية (المقارنة) لهذا الخطاب أو الملابسة لنشأته (سياق الموقف أو المقال).

المطلب الثاني: السياق اصطلاحًا

المقصود بالسياق -كما ذكر تمام حسان- التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين، **أولاهما:** توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى "سياق النص"، **والثانية:** توالى الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق"سياق الموقف"[18].

ويُعدُّ مصطلح "السياق" في الدراسات اللغوية الحديثة من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق، وإن كان يمثل نظرية دلالية، تعد من أكثر نظريات علم الدلالة [Semantics] تماسكًا وأضبطها منهجًا[19]، وكلمة السياق من الألفاظ التي استعملها القدامى من البلاغيين وغيرهم بمدلولها اللغوي العام، ولم تكن تحمل هذا المفهوم الاصطلاحي الذي أصبح شائعًا فيما بعد بين علماء الدلالة والمعاني. وقد أشار البلاغيون إلى معنى السياق العام بمصطلحات بديلة، منها: سياقة الكلام، وسوق الكلام، ومساق الكلام، فعند الحديث عن دلالة النكرة ذكر العلماء أنها في سياق

النفي تفيد العموم والاستغراق[20]، وقد استعمل الزجاج (ت٣١١هـ) لفظ "سياقة الكلام" بدلالته اللغوية العامة، وهذا مسلك بعض النحاة، حيث يستعمل لفظ "الكلام" للدلالة على السياق اللغوي مثل بيان حذف أحد عناصر التركيب لدلالة الكلام عليه[21]، أو لدلالة ما قبله عليه، أما البلاغيون فقد ورد عند السكاكي، وابن الأثير، والقزويني، والمقريزي، مصطلح (مساق الكلام) بديلًا من السياق العام[22]، ومنهم من استعمل (سوق الكلام) بمعنى السياق العام أيضًا[23]، ومنهم من استعمل (سياقة الكلام) بديلًا عن السياق العام[24].

المطلب الثالث: السياق عند المحدثين

تعد فكرة السياق حجر الزاوية في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسسها فيرت Firth في بريطانيا عام 1944م[25]، وعرفت هذه المدرسة بما سمي بالمنهج السياقيContextual Approach الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة[26].وعلى الرغم من ارتباط السياق بعلم الدلالة[27]، فإن بعض اللغويين يرى فصل علم الدلالة عن سياق الموقف، وسجل السياق، وذكروا أسبابًا لذلك[28] منها: أن علم الدلالة -كغيره من العلوم مثل النحو والفنولوجي- هو دراسة نظامية معنية بكل الاختيارات أو عدم الاختبارات All – or- none choices، على حين أن سجل السياق دراسة احتمالية معنية بترجيح اختيار ما عن الآخر في النمط المعين للموقف الاجتماعي Social Situation، فمن النادر جدًا لشكل خاص من أشكال اللغة أن يكون إجباريًا داخل السياق أو الموقف الاجتماعي الخاص، ولأن الأمر إلزامي سنكون أمام حالة محددة خاصة على أقصى ترجيح. وكلمة سياق "Context" كانت متداولة بين اللغويين قبل استعمالها مصطلحًا له مفهومه المحدد عند كل من مالينوفسكى وفيرث[29]، فقد كان دي سوسور De Saussure معتمدًا على السياق اللغوى بمعناه الضيق في دراسته العناصر الداخلية للغة، حيث نظر إلى اللغة على أنها عبارة عن مجموعة من العلاقات الخلافية تتحدد قيمة كل كلمة فيها -على مستوى المعنى والصيغة والوظيفة- بالسوابق واللواحق، أي دراسة نظام اللغة الداخلي دون النظر أو الاهتمام بالإطار الاجتماعي للغة أو سياق الموقف لها[30]، كما هو الحال عند فيرث؛ لذلك يحدد ديسوسير «أن

الآداب للدراسات اللغوية والأدبية
مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
ISSN: 2707-5508 (EISSN): 2708-5783

موضوع علم اللغة الصحيح والفريد هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها»[31]، على حين نجد أن فيرث صاحب النظرة الاجتماعية إلى اللغة ينص على دراسة اللغة في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها؛ لأن هذه اللغة "مزيج من عوامل العادة والعرف والتقليد والتراث التاريخي، وكل ذلك يشكل لغة المستقبل، وحيثما تتكلم فإنك تصهر كل هذه العوامل في خلق فعلي»[32].أما المدارس أو النظريات اللغوية -مثل الإشارية والتصورية والسلوكية[33]- التي ظهرت قبل مدرسة فيرث فإنها لم تتناول فكرة السياق بالمفهوم الذي تحدد على يديه وأصبح نظرية دلالية مترابطة الجوانب.

وينقسم السياق عند فيرث إلى السياق اللغوي Linguistic Context، وسياق الموقف Context of Situation، وقد يضاف إليهما -كما ذكر أحد أتباعه وهو ليونز- سياق آخر هو السياق الثقافي Context of Culture[34]، على حين اقترح أحمد مختار عمر تقسيمًا آخر ذا أربع شعب يشمل[35]: السياق اللغوي Linguistic context، السياق العاطفي Emotional context، سياق الموقف Situational context، السياق الثقافي Cultural context.

وخروجًا من هذه التفريعات نعتمد على تقسيم بالمر Paller[36]، حيث قسم السياق إلى قسمين:

1- السياق اللغوي: Linguistic context.
2- السياق غير اللغوي:.The non-linguistic context.

ولأن السياق غير اللغوي يشمل جميع السياقات -غير اللغوية- السابقة، ويتسع أيضًا ليشمل سياقات أخرى مثل السياق الحضاري والاجتماعي... إلخ، فإن السياق يمكن أن يكون موقفًا اجتماعيًا محدودًا تستعمل فيه الوحدة اللغوية، فعلى سبيل المثال استعمل "Spinster" تشير إلى سيدة عجوز غير متزوجة، ولكن في السياق الشرعي (القانوني) تشير إلى أي امرأة غير متزوجة[37].
وفيما يأتي حديث عن السياقين اللغوي وغير اللغوي ومكونات كل منهما:

أولا : السياق اللغوي Linguistic context

وهو مجموعة العناصر اللغوية المكونة للحدث اللغوي وتشمل:

1- الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق هنا لا يقتصر على الجملة الواحدة، بل يتسع ليشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة، بل القطعة كلها، والكتاب كله[38]؛ لذلك يذكر أحد النقاد المعاصرين أن بعض الكتاب كان «يوصي بألا يذكر المرء أو يعلق على شيء من كتاب دون أن يقرأه من أوله إلى آخره»[39].

2- ترتيب الوحدات السابقة داخل الجمل، ومجموعة العلاقات (الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والدلالية) التي تربطها بعضها ببعض[40].

3- طريقة الأداء اللغوي للجمل، وظواهر هذا الأداء المصاحبة لها متمثلة في النبر Stress، والتنغيم intonation، والفاصلة الصوتية juncture، ويطلق على هذا الأداء التطريز الصوتي Prosodies[41].

وقد اعتمد أصحاب فكرة الحقول الدلالية Semantic fields على السياق اللغوي في رصد معاني الكلمة ودلالتها بتعدد السياقات التي تقع فيها، فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، مع ملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[42]، مع الوضع في الاعتبار أن الأخذ بسياق النص كله يقلل احتمالات المعنى فيه، وهذا ما ينادي به علماء النص المحدثون، فشرح بيت مفرد في قصيدة يمكن أن يترك الشارح أمام احتمالات عديدة، فإذا مضى لبقية الأبيات أخذت تتضاءل هذه الاحتمالات.وقد أشار ليونز إلى أن السياق يحدد معنى الوحدة الكلامية، فمثلًا (I haven't)، تحمل غموضًا لا حصر له عندما تكون خارج السياق، أما إذا استعملت في سياق معين فإنها تفقد غموضها[43]، كما اعتمد علماء علم اللغة الاجتماعي **Sociolingustics** على السياق اللغوي باعتباره أحد المؤشرات على المتغيرات اللغوية، فقد قام (ويليام لابوف) بدراسة لحذف كلمة (is) أو لاختصارها في كلام المراهقين من الزنوج الأمريكيين، تبين منها تأثير السياق اللغوي على اختيار المصارعة المناسبة من الصيغ الآتية

(ø, 's, is)، تبعًا لنوعية الفاعل (اسم أو ضمير) ونوعية المكمل **Complement** (صفة - شبه جملة – ظرف مكان) وصيغة الصوت الآتي له (ما إذا كان صائتًا أو صامتًا)[44].

ثانيًا: السياق غير اللغوي The non-linguistic context

وهو عبارة عن مجموعة العناصر المقامية المصاحبة للحدث اللغوي وتشمل[45]:

1- شخصية المتكلم وثقافته وحالته النفسية، وكذلك السامع وجملة الحضور لهذا الموقف والعلاقة بينهم.
2- الأشياء أو الموضوعات المتعلقة بالحدث اللغوي التي قد تفيد في فهمه.
3- أثر الكلام في المشاركين فيه، مثل الإقناع، الألم، الضحك... إلخ.
4- الظروف المحيطة بالكلام مثل زمانه ومكانه، والأحداث المعاصرة له بأنواعها المختلفة.

والعناصر السابقة يطلق عليها مصطلح"سياق الموقف" Context Of Situation، وقد ارتبط هذا المصطلح بعالمين أحدهما، عالم الأنثروبولوجيا مالينوفسكي"، والآخر لغوي هو "فيرث"، حيث اهتم كل منهما بإبراز المعنى بالنظر إلى هذا السياق، وإن اختلفت طرق البحث عندهما إلى حد ما[46].

وقد اعترف "فيرت" بأنه مدين لمالينوفسكي في لفت نظره إلى هذا المصطلح، إلا أن فيرث رأى أن استعمال مالينوفسكى لهذا المصطلح لم يكن مرضيًا للاتجاه اللغوي الأكثر دقة وإحكامًا[47].

إن سياق الموقف عند مالينوفسكي هو ذلك «الجزء من العملية الاجتماعية الذي يمكن تأمله منفردًا، أو هو مجموعة فعلية من الأحداث يمكن ملاحظتها»[48]، أما عند فيرث فهو نوع من التجريد حيث نظر إليه باعتباره جزءًا من أدوات عالم اللغة، له تنظيم مناسب ينطبق على أحداث اللغة ويشمل مجموعة العناصر السالف ذكرها، في حين كانت نظرة "بلو مفيلد" إلى هذا السياق نظرة مادية، حيث حده بظواهر يمكن تقريرها في إطار من "الأحداث العملية" متجاهلًا حقائق لها شأن بالكلام[49].وقد أطلق بشر على العناصر المكونة لسياق الموقف عناصر المسرح اللغوي linguistic theatre[50]، وأشار إلى أنه يمكن خلق المسرح للنص الذي فقد مسرحه، وهو عمل شاق وصعب -كما وصفه- يحتاج إلى ذكاء وثقافة واسعة، حيث يجب معرفة ظروف هذا النص من حيث زمانه ومكانه وكاتبه، وثقافة هذا الكاتب ومناسبة كتابته والجو العام والخاص

الذي أحاط بتأليف هذا النص وكاتبه[51]. بينما أشار بعض النقاد المعاصرين إلى أن سياق الموقف قد يتحدد من خلال الكلام نفسه (متن النص)، وقد يقع خارجه[52]، وعليه فإن «عملية تفسير النص تأخذ في الحسبان سياق النص، وسياق الموقف فضلًا عن الأعراف والتقاليد في المجتمع والمعطيات الحضارية بصفة عامة، وأن هذه العناصر جميعًا متضافرة؛ حتى أن غياب واحد منها قد يفسد عملية التفسير أو يعطلها»[53]، مع الأخذ في الاعتبار أن تعانق السياق اللغوي وغير اللغوي يؤدي إلى الفهم المثالي للنص[54].

ومن المفيد أن نشير إلى أن السياق يقوم في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، ومنذ القدم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالًا مخصوصًا متلائمًا معه، وقالوا في ذلك "لكل مقام مقال"؛ فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما[55]، ولذلك ركز النحاة على اللغة المنطوقة، فعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما أراده من معنى، والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.كما أن الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه، وربما اتحد المدلول واختلف المعنى طبقًا للسياق الذي قيلت فيه العبارة، أو طبقًا لأحوال المتكلمين، والزمان والمكان الذي قيلت فيهما[56].

ومن الممكن أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات المهمة في هذا الشأن، وهي:

أولًا: إن وظيفة السياق هي فهم المعنى واستكناه أغوار الدلالة في أي نص، وهذا ما يقرره أحد منظري السياق في العصر الحديث إذ يقول: «إن للسياق دورًا مزدوجًا؛ إذ هو يحصر التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود في النص»[57].

ثانيًا: إن ثمة علاقة جدلية بين جانبي السياق في تأديتهما لتلك الوظيفة، فعند تحليل أي نص أدبي لاستشفاف دلالته واستكناه مراميه نستعين في تحديد عناصر المقام بمؤشرات المقال حينًا، وبمحددات المقام في فهم الخصائص أو الظواهر داخل المقال حينًا آخر.

ثالثًا: لم يتفق منظرو السياق في تحديد عناصره، فقد حددها هايمس-على سبيل المثال- في (المتكلم، المخاطب، الحضور، الموضوع، المقام، القناة، النظام، شكل الرسالة، المفتاح،

والغـرض)، ثـم أردف هـذا التحديـد بقولـه: «إن هـذه العناصـر ليسـت كلهـا ضـرورية في جميـع المواقـف، وعلى محلل الخطاب أن يختار من بينها ما يحس بحاجته إليه في هذا التحليل، وقد أشـار "بـراون" و"يـول" في كتابهما(تحليل الخطـاب) إلى أنـه يمكـن الاكتفـاء في التحليـل بالعناصـر الخمسة الآتية (المتكلم، المخاطب، الرسالة، الزمان، المكان، ونوع الرسالة)»[58].

رابعًا: رغـم أهميـة استصحاب السـياق الخارجي(المقام) والاسـتئناس بقرائنـه فـإن السـياق الـداخلي (المقـال) يفوقـه أهميـة عنـد تحليـل الـنص الأدبي؛ إذ في هـذا النص"يجـب أن نلاحـظ أن أهميـة السـياق اللغـوي تفـوق كثيـرًا أهميـة السـياق الخـارجي، فالعلاقـات الداخليـة -الأفقيـة والرأسية- بين الوحدات اللغوية التي يتكون منها النص هي عمدة التفسير الأدبي»[59].

المبحث الثاني: السياق عند البلاغيين وأثره في التوجيه

المطلب الأول: السياق والعلاقة بين المقال والمقام

اعتمـد البلاغيـون العـرب على فكـرة العلاقـة بـين المقـال والمقـام (أو مقتضـى الحـال)، فالبلاغة عندهم هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[60]؛ ولذا نجد بعض المحدثين يذكر أن جوهر البلاغة عند علماء العرب ونقادها وبلاغيها هو البحث عن مجالات مطابقة الكلام لمقتضى الحال[61].فإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل السياق اللغوي فإننا نجد أن البلاغيين قـد اعتمـدوا على السـياق اللغـوي بمعنـاه الضـيق، إذ اعتمـدوا في الـدرس البلاغي على الأبيـات المفردة المنفصلة عن سياق نصوصها، وقد تصنع هذه الشواهد إن لم تكن موجودة في النصوص الأدبيـة الحيـة، وغالبًـا مـا تتكـرر هـذه الشـواهد وتلـك الأسـئلة مـن كتـاب إلى آخـر، ونـادرًا مـا يلجـأ البلاغي إلى شـعراء عصره كى يسـتمد منهم شـواهده[62]؛ ولـذا نجـد بعـض المحـدثين يقـرر أن نظرة البلاغيين القـدامى لـم تتجـه إلى تحليـل الـنص باعتبـاره وحـدة كليـة «إذ لـم يـرد في البلاغـة العربيـة كلها تحليل قصيدة شعرية متكاملة إلا في حالة واحدة هي الاستثناء المؤكد للقاعدة، وهي قصيدة المتنبي التي حللها حازم القرطاجني»[63]. ونادرًا ما نجد نصًا أو قصيدة كاملة يستشهد بها البلاغي

القديم، مثل ابن طباطبا العلوي (ت 749هـ) الذي بين أن الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعر، دبره تدبيرًا يسلس معه القول، ويطرد فيه المعنى، تم ذكر شاهدًا على ذلك وهو قصيدة للأعشى، وما اقتصه من خبر السموأل فيها[64].

أما النقاد القدامى فقد درجوا على أن وحدة الشعر في البيت -السياق الضيق- لا القصيدة "سياق النص"، وقد نتج عن هذا المفهوم أنهم عدوا احتياج البيت إلى ما بعده ليتم معناه -وهو ما يسمى بمصطلح "التضمين"- عيبًا من العيوب التي يجب على الشاعر المجيد أن يتجنبها، وهم لا يقصرون هذا العيب على الشعر، بل يحملونه على النثر أيضًا[65].

فقد كان أبو هلال العسكري (ت 395هـ) يعد هذا التضمين قبيحًا[66]، على حين رفض ابن الأثير(ت 637هـ) فكرة التضمين المعيب في الشعر والنثر، إذ يقول خلال حديثه عن تضمين الإسناد: «هو عندي-يعني تضمين الإسناد- غير معيب؛ لأنه إن كان سبب عيبه أن يعلق البيت الأول على الثاني، فليس ذلك بسبب يوجب عيبًا؛ إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر، وبين الفقرتين من الكلام المنثور في تعلق إحداهما بالأخرى؛ لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفًّى دلَّ على معنى»[67].

وتأسيسًا على ما سبق فإن البلاغيين القدامى، والنقاد، لم يهتموا بسياق النص، بل ركزوا على السياق اللغوي الضيق، حيث عدوا البيت الشعري «هو الوحدة الأساسية المكتملة، والقافية بابها الموصد، على أن تتساوى الأبيات في نهاية المطاف، لكن لكل بيت كينونته وأسراره، وهو مستقل بذاته، وقابل -فحسب- لحسن الجوار مع غيره، لكنه لا يكاد يكون معه أسرة متمازجة، ومن هنا فإن كثيرًا من الأشكال البلاغية، إن لم تكن كلها تقريبًا، تنبثق عن هذه البنية المحددة، فمعظم ظواهر البديع -من طباق وجناس ورد للعجز على الصدر وغيرها- إنما هي استثمار جمالي لهذه الوحدة المتعلقة نحويًا ببابها الموصد»[68].

المطلب الثاني: السياق وفصاحة الكلمة

قد يهمل السياق (اللغوي وغير اللغوي) عند كثير من البلاغيين، وذلك عند حديثهم عن شروط فصاحة الكلمة، حيث وضعوا مجموعة من الشروط، منها: أن تكون الكلمة مكونة من

حروف متباعدة المخرج [69]، وأن تكون مع تدلة في الوزن أي غير كثيرة الحروف [70]، وألا تتألف من حروف متنافرة [71]... إلخ، وطبقوا هذه الشروط على الحكم بفصاحة الكلمة أوعدمها، دون النظر إلى موقعها من سياقها اللغوي، والموقف الذي استعملت فيه.غير أننا نجد بعض البلاغيين قد ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي، مثل عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي ربط بين فصاحة الكلمة وانتظامها في التركيب ربطًا صريحًا حيث يقول: "وجملة الأمر أنّا لا نوجب «الفصاحة» للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة «اشتعل» من قوله تعالى: «وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» [مريم: 4]، أنّها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك «الفصاحة» لها وحدها، ولكن موصولًا بها «الرأس» معرّفًا بالألف واللام، ومقرونًا إليهما «الشيب» منكّرًا منصوبًا[72]. وإنّما يقع ذلك في الوهم لمن يقع له، أعني أن يوجب الفصاحة للفظة وحدها فيما كان «استعارة»، فأما ما خلا من الاستعارة من الكلام الفصيح البليغ، فلا يعرض توهّم ذلك فيه لعاقل أصلًا، أفلا ترى أنه لا يقع في نفس من يعقل أدنى شيء، إذا هو نظر إلى قوله عز وجل: «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ» [المنافقون: 4]، وإلى إكبار النّاس شأن هذه الآية في الفصاحة، أن يضع يده على كلمة كلمة منها فيقول: «إنّها فصيحة؟» وسبب الفصاحة فيها أمور لا يشكّ عاقل في أنها معنوية:

أولها: إن كانت «على» فيها متعلّقة بمحذوف في موضع المفعول الثاني.

والثاني: إن كانت الجملة التي هي «هم العدوّ» بعدها عارية من حرف عطف.

والثالث: التعريف في «العدوّ»، وإن لم يقل: «هم عدوّ».

ولو أنّك علّقت «على» بظاهر، وأدخلت على الجملة التي هي «هم العدوّ» حرف عطف، وأسقطت «الألف واللام» من «العدوّ» فقلت: «يحسبون كلّ صيحة واقعة عليهم، وهم عدوّ»، لرأيت الفصاحة قد ذهبت عنها بأسرها، ولو أنك أخطرت ببالك أن يكون «عليهم» متعلّقًا بـ«الصيحة»

نفسها، ويكون حاله معها كحاله إذا قلت: «صحت عليه»؛ لأخرجته عن أن يكون كلامًا، فضلًا عن أن يكون فصيحًا، وهذا هو الفيصل لمن عقل»[73]، كما رد عبد القاهر قول القائل إن فصاحة الكلمة تتوقف على تلاؤم الحروف من حيث بعد المخرج وعدم التنافر[74]، كما نجد ابن الأثير (ت 637هـ) يربط التفاضل بين الألفاظ بسياقها اللغوي والموقف الذي استعملت من أجله، حيث ذكر أن التفاضل بين الألفاظ يقع في تركيبها أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أعسر وأشق[75]، يقول في الصناعة اللفظية: «أنها تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: في اللفظة المفردة، اعلم أنه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء: الأول منها: اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك اللآلئ المبدَّدَة، فإنها تتخير وتنتقي قبل النظم، الثاني: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلَّا يجيء الكلام قلقًا نافرًا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها، الثالث: الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارةً يجعل إكليلًا على الرأس، وتارةً يجعل قلادة في العنق، وتارةً يجعل شنفًا في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه، فهذه ثلاثة أشياء، لا بُدَّ للخطيب والشاعر من العناية بها، وهي الأصل المعتَمَد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر، فالأول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة، والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة...ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دقَّ فهمه وجلَّ نظره.فمن ذلك قوله تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}، وقوله تعالى:{رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا» فاستعمل "الجوف" في الأولى، و"البطن" في الثانية، ولم يستعمل "الجوف" موضع "البطن"، ولا "البطن" موضع "الجوف"، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عددٍ واحد، ووزنهما واحد أيضًا، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل.

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»، وقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة، وإن كانا مختلفين

في الوزن، ولم يستعمل القرآن أحدهما في موضع الآخر، واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أعسر وأشق، ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروقك في كلام، ثم تراها في كلام آخر فتكرهها، فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة، ولا عرف أسرار الألفاظ في تركيبها وانفرادها»[76]؛ لأن العبرة بحسن استعمال الألفاظ في مواضعها اللائقة بها، فالألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف، وأشباه ذلك، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك، ولست أعني بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيًّا متوعرًا، عليه عنجهية البداوة، بل أعني بالجزل: أن يكون متينًا على عذوبته في الفم، ولذاذته في السمع، وكذلك لست أعني بالرقيق: أن يكون ركيكًا سفسفًا، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس...»[77].

وقد عاب أحد المعاصرين[78] نظرة البلاغيين القدامى إلى فصاحة اللفظ بناء على دلالته المجردة مثل: استحسان لفظ "الديمة" و"المزنة" لما فيها من الرقة واللطافة، واستقباح لفظ "البعاق" لما فيه من الغلظ والبشاعة ورأى أن هذا الفهم تبسيط مخل بفهم الفصاحة؛ لأن فصاحة الكلمة إنما تستفاد من سياقها اللغوي وغير اللغوي.فمن ذا الذي يزعم أن لفظ مثل "المناخر" أعذب من لفظ "الأنف" أو أكثر منه احتشامًا، لاسيما إذا نظرنا إلى أن "الأنف" قد أخذت منه"الأنفة"، وهي الدالة على الإباء والتعالي عن الدنايا، ومع ذلك نجد أن "سياق الموقف" ربما جعل اختيار "المناخر" مؤشرًا أسلوبيًّا يحدث أثرًا لا يمكن أن يحدث إذا اختير لفظ الأنف أو "الأنوف" مكانه[79]، ففي قوله -صلى الله عليه وسلم- «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟؟!»[80]، ربط فصاحة لفظ "المناخر" في هذا النص بسياق موقفه، فالموقف-الذي يشير إليه الحديث-موقف استهجان للغو، وتحذير من مغبة الانزلاق إلى ممارسته، ومن هنا جاء اختيار لفظ "المناخر" مبنيًا على الأسباب الآتية[81]:

1- كلمة "الأنف" مألوفة، والإلف يذهب بالطاقة التعبيرية للكلمة، وهذا لا يتحقق باستعمال "المناخر".

2- تشير كلمة "المناخر" إلى داخل الأنف، فتذكر بالإفرازات الكريهة، أما الأنف فهو جزء من ظاهر الوجه، وحسنه يميل إلى جمال الوجه حسنًا.

3- تقدم لفظ "يكب" يتطلب ضميمة كالمناخر تنافي معنى التكريم.

4- يوحي مخرج الخاء من لفظ "المناخر" بأن هذا العضو أداة للشخير؛ وهو صوت كريه أيضًا، ولعل هذه الملاحظة الأخيرة ترتبط بحكاية الصوت للمعنى.

ولاشك في أن السببين الثالث و الرابع من معطيات السياق اللغوي، وهذه الأسباب مجتمعة مضافة إلى سياق الموقف أدت إلى اختيار لفظ "المناخر"، ودلت على أنه أفصح من اختيار "الأنف أو الأنوف، أما بمقياس البلاغيين -حيث نظروا إلى فصاحة اللفظ بمعزل عن سياقه اللغوي وغير اللغوي- فإن لفظ "الأنف" أفصح من "المناخر"!.

المطلب الثالث: بين "المقام" أو "مقتضى الحال" و"سياق الموقف"

هل مفهوم (المقام) أو "مقتضى الحال" عند البلاغيين العرب القدامى يماثل "سياق الموقف" عند علماء اللغة المحدثين، ولا سيما الدلاليون منهم؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال أشير إلى أن فكرة "مقتضى الحال" أو "المقام" كانت موجودة لدى الرومان قبل نشأة البلاغة العربية، فعبارة "مقتضى الحال" التي تمخضت عنها المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال" توجد سابقتها الواضحة في عبارات "شيشيرون" الروماني الذي يقول في كتابه عن الخطابة: "إن الرجل البليغ يجب أن يقدم قبل كل شيء البراهين على حكمته، ويتكيف مع مختلف الظروف والشخصيات، اعتقد بالفعل أنه لا يجب أن يتكلم دائمًا بالطريقة نفسها أمام الجميع، ولا ضد كل شيء، ولا لصالح أن شيء عليه، إذن لكي يكون بليغًا أن يكون جديرًا بأن يجعل لكل مقام مقالًا لغويًا ملائمًا له»[82]. كما توجد إشارات

واضحة لدى أرسطو حول هذه الفكرة أيضًا مثل حديثه عن فكرة المناسبة بين الأسلوب وما يقتضيه الموضوع يقول أرسطو: «أما الأسلوب فمن أهم مزاياه ما يمكن أن يسمى بالوضوح، ويتبين ذلك من أن الكلام إذا لم يجعل المعنى واضحًا، فإنه لا يؤدي وظيفته الخاصة، كذلك ينبغي ألا يكون وضيعًا ولا فرق مكانة الموضوع بل مناسبًا له... وحتى في الشعر إذا استعملت اللغة الأنيقة على لسان عبد أو صبي أو في موضوعات تافهة جدًا، فإنها لا تكون مناسبة لأنه هنا أيضًا يقوم التناسب السليم في الإيجاز والإطناب حسبما يقتضى الموضوع»[83].

واللافت للنظر أن عبارة "لكل مقام مقال" عرفها العرب قبل ترجمة الفكر الأرسطي إلى العربية، فهي من أمثالهم التي ذكرها الميداني في مجمعه[84]، ويبدو أن هذا الأمر -أي وجود هذه العبارة عند العرب وغيرهم- من قبيل توارد الأفكار العامة في المعرفة الإنسانية، وقد استعمل هذا المثل بدلالته العامة بعد ذلك، وقد كرر ذكرها الجاحظ في كتابه الحيوان مرات عديدة، يقول الجاحظ (ت 255هـ): «لما قالوا: لكلّ مقام مقال، ولكلّ زمان رجال، ولكلّ ساقطة لاقطة، ولكلّ طعام أكلة»[85]... وقد أصاب كلّ الصّواب الذي قال: «لكلّ مقام مقال»[86]،... ولكل مقام مقال، ولكل صناعة شكل»[87].

أما عن وجود هذه الفكرة بمعناها الفني -إن صح هذا التعبير- في الدرس البلاغي ودلالتها على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو تحقق المناسبة بين المقام والمقال، فإن أول من أشار إليها -فيما أعلم- هو بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) في صحيفته التي نقلها عنه الجاحظ، يقول بشر: «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع أن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»[88]. كما أشار بشر أيضًا -في إطار من المعيارية- إلى ما يجب على المتكلم من مراعاة أحوال المستمعين النفسية والاجتماعية حيث يقول: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا...»[89].

وجاء البلاغيون بعد بشر بن المعتمر، ونقلوا عنه هذه الفكرة، حيث نصوا على وجوب مساوقة الكلام لمقتضى الحال، وأن لكل مقام مقالًا، مثل: الجاحظ (ت 255هـ)[90]، وإن كان للجاحظ إشارات أخر تقترب من مفهوم الحال عند النحاة غير أنه أطلق عليها مصطلح "النصبة"[91]، وعرفها بقوله: «وأما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ و المشيرة بغير اليد»[92]، كما ذكر بعض العناصر غير اللغوية التي تصاحب عملية الكلام مثل الإشارة باليد والرأس والعين... إلخ، وقال عنها: «والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط، وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة، ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم»[93]. ولكن هل يمكن أن يكون مفهوم "المقام" عند البلاغيين مقابلًا لمفهوم "سياق الموقف" عند اللغويين المحدثين؟

لقد ذكر بعض الباحثين أن البلاغيين العرب تحدثوا عن العناصر التي يتكون منها "سياق الموقف" مثل: المتكلم (المرُسِل)، والسامع (المستقبل)، والخطاب أو الرسالة في إطار من المقامات التي تحكم هذه العناصر مجتمعة، وذكر ذلك مفصلًا فتحدث عن تصنيف البلاغيين لأحوال المتكلمين والمستمعين من حيث المنزلة الاجتماعية والظروف النفسية والمستوى الحضاري والثقافي، ثم تحدث عن الخطاب أو الرسالة من حيث غرضها من مدح أو ذم... إلخ[94].

فهل يعني هذا اقتراب مفهوم "المقام" من مفهوم "سياق الموقف"؟ يرى الدكتور بشر أن البلاغيين قد وفقوا في إدراك شئ مهم في الدرس اللغوي -وهو المقام- ولكنهم كعادتهم طبقوه بطريقتهم الخاصة، حيث وجهوا عنايتهم في "المقام" نحو الصحة والخطأ أو نحو الجودة و عدمها، وكانت نظرتهم إلى المقام نظرة معيارية لا وصفية، وبذلك يختلف المقام عند البلاغيين عن سياق الموقف عند المحدثين[95].لكن اللافت للنظر أن تمام حسان ذكر أن "مالينوفسكى" لم يكن يعلم

وهو يصوغ مصطلحه الشهير (Context or Situation) أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها بالبلاغيين العرب الذين سجلوه في كتبهم تحت اصطلاح "المقام"[96].

إن تمام حسان في هذه المقولة يكاد يسوي بين مفهوم المصطلحين مع إثبات السبق للبلاغيين العرب، غير أنه عدل هذه المقولة -بعد ذلك- حين ذكر أنه يستعمل مفهوم "المقام" بمعنى مختلف عما كان له عند البلاغيين[97]، لقد استعمل حسان "المقام" لا بمعناه المعياري عند البلاغيين بل استعمله بمفهوم "سياق الموقف" عند المحدثين. ولقد فهم البلاغيون "المقام" أو "مقتضى الحال" فهمًاسكونيًا نمطيًّا، ذلك أن كلمة "الحال" تدل على الثبات، وعدم التحول إلا إلى حال أخرى مغايرة تمامًا، يقول السكاكي (ت 626هـ): «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال وإطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفًا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريًا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصًا بشيء من التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها، وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها والإيجاز معها أو الإطناب، أعني طي جمل عن البين ولا طيها؛ فحسن الكلام تأليفه مطابقًا لذلك[98].

ويقـول الخطيـب القزويني (ت ٧٣٤هـ) : «ومقتضـى الحـال مختلـف، فـإن مقامـات الكـلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام»[99].فالمقام أو "مقتضى الحال" -عند البلاغيين- فكرة معيارية يجب أن تراعى، وعدم مراعاتها ينفي عن "المقال" صفة البلاغة، وهذا جانب ذوقي جمالي، كما أن (المقام) أو (مقتضى الحال) لابد أن يسبق في وجوده إنتاج الكلام "المقال" أو سماعه، أو قراءته؛ لأنه هو الذي يصاغ الكلام بمقتضاه، وهذا يختلف عن مفهوم "سياق الموقف"، حيث يتكون هذا السياق من جملة عناصر تستعمل أو يستعان بها في فهم المقال وتفسيره، وذلك بعد إنتاج هذا "المقال" من خلال سماعه أو قراءته، وهذا "المقال" جزء من هذا السياق وليس منفصلًا عنه، كما كان عند البلاغيين حيث يكون (المقام) قالبًا أو نمطًا يصاغ "المقال" طبقًا له؛ ولهذا يعود تمام حسان مرة أخرى ليؤكد اختلاف مفهوم "المقام" عند البلاغيين عن مفهوم "سياق الموقف" عند اللغويين المحدثين"، فالفرق بين (المقام) و(سياق الموقف) أن المقال منفصل عن المقام ويقال بحسبه؛ إذ لكل مقام مقال، ولكن المقال جزء لا يتجزأ من سياق الموقف، فمناط التباين إذن، هو فرق ما بين السكون والحركة، أو بين المعيار والتطبيق، أو بين النمط السلوكي والسلوك نفسه، فإذا قال البلاغيون "مقتضى الحال"، فالمعنى هو ما يتطلبه أحد الأنماط النوعية للمواقف من رعاية في الكلام، وهكذا يمكن للمرء أن يفكر في أنواع من المواقف لكل منها مطالب أسلوبية معينة، وهذه الأنواع قائمة في الذهن أولًا قبل أن يكون لها تحقق خارجي[100].فالبلاغيون قعدوا المقام وجعلوه نمطًا يحتذى قبل إنشاء المقال، فأصبح نظامًا يجب مراعاته، أضف إلى ذلك أن "المقام" عند البلاغيين معيار جمالي، أي يحكم بمراعاته ببلاغة "المقال"، وبعدم مراعاته بعدم بلاغته.

وعلى الرغم من ذلك فإننا لانعدم أن نجد من بين البلاغيين من يدرس "المقال" بعد إنتاجه من خلال السياق بشقيه مثل عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي اهتم بالسياق اللغوي من

خلال طرحه لفكرة "النظم"، وهي فكرة قائمة على دراسة التراكيب والموازنة بينها عن طريق "السياق" اللغوي الذي يقوم بدور مهم في تحديد قيمة الكلمة ودلالتها داخل التركيب، وبيان الأنسب والأصلح في رصف التركيب للدلالة على المعاني التي ينشدها البلغاء في المقامات التي ينظمون فيها، ومن ثم يتفاوت نتاجهم على قدر توفيقهم في إحكام النظم[101]، وإن كان بعض الباحثين يرى أن عبد القاهر لم يكن مخترعًا فكرة "النظم"، وإن كان هو الذي بسط فيها القول، وأقام على أساسها فلسفة كتابه، حيث سبقه إليها أبو عبدالله محمد بن زيد الواسطي المتكلم (ت ٣٠٧هـ) مؤلف كتاب "إعجاز القرآن في نظمه"[102].

المبحث الثالث: اهتمام البلاغيين بالسياق في دراسة التركيب وتحليله

يظهر اهتمام البلاغيين بالسياق في دراسة التركيب وتحليله، من خلال حديث عبد القاهر الجرجاني عن المجاز بالحذف، والتركيب بين الحقيقة والمجاز، والتركيب ومعنى المعنى، وتفصيل ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المجاز بالحذف

ذكر عبد القاهر أن تقدير المحذوف في هذا المجاز يتم عن طريق أمرين:

الأول: غرض المتكلم -وهو جزء أو عنصر من عناصر سياق الموقف- مثل قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[103]، حيث يرى أن الحذف في هذه الآية ليس راجعًا إلى التركيب ذاته، وإنما راجع إلى غرض المتكلم؛ إذ الغرض واسأل أهل القرية، ثم يوضح أن مثل هذه الآية في غير التنزيل، وفي موقف لغوى آخر لا يحتمل هذا الحذف، وذلك إذا كان في "كلام رجل مر بقرية خربت وباد أهلها، فأراد أن يقول لصاحبه واعظًا ومذكرًا، أو لنفسه متعظًا ومعتبرًا: سل القرية عن أهلها، وقل لها ما صنعوا على حد قولهم: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك، وجنى ثمارك فإنها إن لم تُجِبْك حِوارًا، أجابتْك اعتبارًا وكذلك: إن سمعت الرجل يقول: ليس كمثل زيدٍ أحدٌ، لم تقطع بزيادة الكاف، وجوّزت أن يريد: ليس كالرجل المعروف بمماثلة زيد أحدٌ»[104].

الثاني: أن يكون امتناعُ تَركِ الكلام على ظاهره، ولزومِ الحكم بحذفٍ أو زيادةٍ، من أجل الكلام نفسِه، لا من حيث غَرَض المتكلم به، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحدَ جزأي الجملة، كالمبتدأ في نحو قوله تعالى:﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[105]، وقوله: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾[106]، لابُدَّ من تقدير

محذوف، ولا سبيل إلى أن يكون له معنى دونه، سواءٌ كان في التنزيل أم في غيره، فإذا نظرتَ إلى: "صَبْرٌ جميلٌ" في قول الشاعر:

يشكو إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرَى صَبْرٌ جَمِيلٌ، فكِلانَا مُبْتَلَى

وجدته يَقْتضي تقديرَ محذوفٍ، كما اقتضاه في التنزيل؛ لأن الداعي إلى تقدير المحذوف هاهنا، هو أن الاسم الواحدَ لا يفيدُ، والصفة والموصوف حكمهما حكم الاسم الواحد، وجَميلٌ صفة للصَبْر، وتقول للرجل: مَنْ هذا؟، فيقول: زيدٌ، يريد هو زيد، فتجد هذا الإضمار واجبًا؛«لأن الاسم الواحد لا يُفيد، وكيف يُتصوَّر أن يفيد الاسم الواحد، ومَدَارُ الفائدة على إثبات أو نفي، وكلاهما يقتضي شيئين: مُثَبتٌ ومُثَبتٌ له، ومَنْفيٌّ ومنفيٌّ عنه»[107]. لقد أرجع عبد القاهر الحذف هنا إلى معطيات السياق اللغوي؛ لأن مبنى التركيب يحتوي على عنصر واحد -وهو الصفة والموصوف- لا يمكن أن يكون وحده جملة مفيدة -كما يرى- وهنا يذكر التحويليون من اللغويين المعاصرين[108] أن التركيب في مثل الآيتين السابقتين -﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾، و ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾- يحمل في بنيته العميقة Deep Structure عنصرًا تم حذفه في بنية السطح Surface Structure، فالذي يشير إلى البنية العميقة في الآية الأولى هو غرض المتكلم، وفي الآية الثانية احتواء البنية السطحية على عنصر واحد لا يمكن أن يكون وحده جملة مفيدة.

المطلب الثاني: التركيب بين الحقيقة والمجاز

من المواضع التي اعتمد فيها عبد القاهر على السياق في دراسة التركيب استعانته بما يسمي عند اللغويين المحدثين بالسياق الثقافي (Context of Culture)[109] في التمييز بين الحقيقة والمجاز، فتارة يحكم على التركيب بالمجاز، وتارة يحكم عليه بالحقيقة، تبعًا لمعتقدات قائله وثقافته، ويتضح ذلك من خلال تعليقه على قول الصلتان العبدي:

أشَابَ الصغير وأفْنَى الكبير (م) كرُّ الغداةِ ومَرُّ العشي

وقول أبي الأصبع:

أَهْلَكَنَا اللّيلُ والنَّهارُ معًا وَالدّهْر يَغْذُو مُصمِّمًا جذعا

بقولـه: «كـان طريـق الحكـم عليـه بالمجـاز، أن تعلـم اعتقـادَهم التوحيـدَ، إمـا بمعرفـة أحوالهم السابقة، أو بأن تجد في كلامهم من بَعْدِ إطلاق هذا النحو، ما يكشف عن قصد المجاز فيه»[110]. فعبد القاهر يشير هنا إلى أن الشاعرين لو ثبت من اعتقادها نسبة هذه الأفعال للزمن كان تعبيرهما حقيقة لا مجاز فيه على نحو قول الدهريين ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ [111]، أما إذا ثبت اعتقادهما للإسلام فإن نسبة هذه الأفعال إلى الدهر يكون على طريق المجاز لا الحقيقة، فالحكم على الكلام بالمجاز أو الحقيقة -في بعض الأحيان- يكون راجعًا إلى مراعاة ثقافة المتكلم ومعتقداته.ويبدو لي أن السياق الثقافي، ليس شيئا منفصلًا عن سياق الموقف، و إنما يتعلق بأحد عناصره وهو المتكلم أو المخاطب، حيث يراعي ما يتعلق بها من ثقافتهما ومعتقداتهما عند التحليل البلاغي.

المطلب الثالث: التركيب ومعنى المعنى[112]:

اعتمد عبد القاهر على سياق الموقف -وإن لم يصرح بذلك- في بيان الوصول إلى معنى المعنى لبعض العبارات مثل قولهم: "هو كثير رماد القدر"، وقولهم عن المرأة هي: "نؤوم الضحى". وقد ذكر عبد القاهر أن الكلام على ضَرْبين: **ضربٌ** أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ" مثلًا بالخروجِ على الحقيقة، فقلتَ:"خرجَ زيدٌ"، وبالانطلاقِ عن"عمرو"فقلتَ:"عمروٌ منطلِقٌ"، وعلى هذا القياسِ، **وضربٌ آخرُ** أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانية تَصِلُ بها إلى الغَرَض، ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل"، أوَ لا تَرى أنكَ إذا قلْتَ: "هو كثيرُ رمادِ القِدْر"، أو قلتَ: "طويلُ النجادِ"، أو قلتَ في المرأةِ: "نَؤُومُ الضحى"، فإنَّكَ في جميعِ ذلك لا تُفيدُ غرضَك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظُ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرهُ، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيلِ الاستدلالِ، معنًى ثانيًا هو غَرَضُك، كمعرفتِكَ مِنْ "كثيرِ رمادِ القدرِ" أنه مضيافٌ، ومن "طويلِ النِّجاد" أنه طويلُ القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مُتْرفَةٌ مخدومةٌ، لها مَنْ يَكفيها أَمْرَها[113].

ففي النوع الأول لا يبذل المتلقي أو (السامع) جهدًا في تحصيل معناه، إذ تحمل بنيته السطحية دلالته الحرفية المباشرة، وفي هذه الحالة يوشك المتلقي أن يكون سلبيًّا إزاء الدلالة أو المعلومة التي ينقلها إليه الكلام[114].

أما في النوع الثاني فالمخاطب أو (السامع) مطالب ببذل نوع من الجهد العقلي في الاستدلال على المعنى المقصود، إذ يقتضي منه ذلك إحاطته بالعلاقات غير اللغوية التي يتوقف عليها المعنى الثاني، حيث يرجع ذلك إلى معرفة سياق الموقف بما يتضمنه من الجانب الحضاري والاجتماعي المتعلق بأوضاع البيئة العربية البدوية، وقد شرح عبد القاهر ذلك بقوله: «أنتَ تَعْرِفُ ذلك المعنى -أي المعنى الثاني- مِنْ طريقِ المعقولِ دونَ طَريق اللفظ، ألاَ ترى أَنكَ لَمَّا نظرْتَ إلى قولهم:"هو كثيرُ رَمادِ القِدْر"، وعرفْتَ منه أنَّهم أرادوا أَنه كثيرُ القِرى والضِّيافة، لم تعرِفْ ذلك مِنَ اللفظِ، ولكنَّك عرفْتَه بأن رجَعْتَ إِلى نَفْسك فقلتَ: إِنه كلامٌ قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرمادِ، فليس إِلا أَنَّهم أرادوا أن يَدلُّوا بكَثْرة الرماد على أَنه تُنْصَبُ له القدورُ الكثيرةُ، ويُطْبخ فيها للقِرى والضيافةِ، وذلك لأَنه إِذا كَثُرَ الطبخُ في القدورِ كَثُرَ إحراقُ الحطَبِ تَحتَها، وإِذا كثُرَ إِحراقُ الحطَبِ كَثُرَ الرمادُ لا محالة»[115].

وهكذا لابد أن يكون متلقي هذه العبارة عارفًا بكل هذا، حتى يستطيع أن يدرك معنى الكرم الذي يعنيه معنى العبارة نفسها، وهذا العرف الاجتماعي أو السياق الحضاري هو الذي لا يمكن أن تفضي العبارة إلى معناها الصحيح إلا في إطاره.وهكذا نجد أن عبد القاهر قد استعان بالسياق بشقيه في التحليل، وأنه وظف المقام بما يتسق مع مفهوم"سياق الموقف" عند المحدثين وتخفف من معيارية "مقتضى الحال عند البلاغيين، والذي مهد له ذلك هو دراسته التركيب بعد إنتاجه ومحاولة فهمه من خلال سياقه الذي أنشئ فيه.

المبحث الرابع: السياق والقصد البلاغي

إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مقولة لها أثرها العميق في توجيه البحث البلاغي وتحديد كثير من مساراته، ونظرة إلى مؤلفات هذا الموروث لاسيما في عصوره المتأخرة تكشف لنا

إلى أي حد بلغ الاهتمام بتلك المطابقة، حيث عدت غاية البحث في علمين من علوم البلاغة الثلاثة (المعاني – البيان - البديع)، بل لقد عرفت بها البلاغة كلها حين قيل: «بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال من فصاحته»[116].

ولا يتسع مجال هذا البحث لتتبع مسار تلك الفكرة وتطورها في موروثنا البلاغي وبحسبنا أن نسوق النصين التاليين اللذين يعكسان إلى أي حد كانت الحفاوة بها في الموروث البلاغي:

النص الأول: من كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت 255 ه)

يقول في مطابقة الكلام لأحوال المخاطبين ولطبيعة المعاني والأغراض تحت عنوان طبقات الكلام: «وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامًا وساقطًا سوقيًّا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلم بدويًّا أعرابيًّا؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات، فمن الكلام: الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج... وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا، إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل للسخيف من المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربما أوقع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني...»[117].

النص الثاني: لعبد القاهر الجرجاني (ت 474ه)

يقرر الجرجاني في مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض أن قيمة الكلام أو مزيته الفنية لا تتحقق إلا بتحقيق لونين من المطابقة في عناصره أو جزئياته: **الأولى** مواءمتها للمعاني أو الأغراض التي يساق لها الكلام، **والثانية** مواءمة كل منها لما يسبقه أو يلحق به في سياق النظم أو نسق التعبير، يقول في بيان محاسن النظم: «وإذ قد عرفْتَ أنَّ مدارَ أمرِ "النظْم" على مَعاني النحو، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأْنها أَنْ تكونَ فيه، فاعلمْ أنَّ الفروقَ والوجوهَ كثيرةٌ ليسَ لها غايةٌ تقفُ عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادًا بَعْدها، ثم اعْلَمْ أنْ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها، ومِنْ حيثُ هي على الإطلاق، ولكنْ تعرضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ،

ثـم بحَسَـبِ موقـعِ بعضِها مـن بعـضٍ، واسـتعمالِ بعضِها معَ بعـضٍ...»[118]. وتبقى الإشـارة إلى أن فكرة السياق أو مقتضى الحال وإن ظفرت بتلك الحفاوة البالغة في موروثنا البلاغي فإنها اتسمت ببعض السمات التي كانت بمثابة شوائب تشوبها وقيود تحد من حركتها، ومن أبرز هذه السمات:

أ- **النزعـة المعياريـة:** تلـك النزعـة التي جعلـت البلاغيـين -مـن منظـور الحـرص على المطابقة- يقننون ظواهر الأداء اللغوي من ذكر أو حذف أو تعريف أو تنكير أو تقديم أو ما إلى ذلـك، تـارة بحسـب الأغـراض والمعـاني، وتـارة أخـرى بحسـب الأحـوال أو المقامـات: أمـا تقنينهـا بحسـب المعـاني فلقـد كان مـن الـذيوع بمكان كاد يغطي مباحـث علـم المعـاني، وبحسـبنا بصـدده أن نـورد مـا يقـرره السـكاكي في ظـاهرة "الـذكر" حيـث يقـول: «...مـن أغراض ذكر المسند إليه زيادة الإيضاح والتقرير، أو لأن في نكره تعظيمًا للمذكور أو إهانة لـه كمـا يكون في بعـض الأسـامي والمقـام مقـام ذلـك... ومـن أغـراض ذكـر المسـند زيـادة التقريـر، أو التعـريض بغبـاوة سـامعك، أو اسـتلذاذه، أو قصـد التعجـب مـن المسـند إليـه بذكره...»[119].

وأما تقنين الظاهرة بحسب الحال أو المقام فيتجلى في قول الخطيب القزويني على سبيل المثـال: «إن كان المخاطب خـالي الـذهن مـن الحكم اسـتغنى عـن المؤكدات، وإن كان مترددًا حسـن تقويته بمؤكد، وإن كان حاكمًا بخلافـه وجب توكيـده بحسـب الإنكار...»[120]. في ظل هـذه النظرة المعياريـة الصـارمة تصبح القاعـدة -كما يقـول صلاح فضـل- «هي سيدة الاسـتعمال، لها عليه حق الطاعـة، فـإن لـم يمتثل فلهـا عليـه حق الزجـر، فالاسـتعمال تـابع والمعيـار متبـوع... أمـا وجهـة نظـر اللسانيات الحديثة فإنها تفضي إلى تقدير معاكس...»[121].

ب - **التركيز على المخاطب:** حيث كان هـذا التركيز أحد الخطوط البـارزة في تمثل البلاغـة العربية لفكرة المطابقة، ففي نص القزويني السـابق على سـبيل المثال كان خلو ذهـن المخاطب مـن الحكم أو تـردده فيـه أو إنكاره لـه هي الأحـوال أو المقامـات التي قـنن على أسـاسـها ظـاهرة التوكيـد

وجودًا أو عدمًا، وقلة أو كثرة -قد يكون السبب في هذا التركيز هو نشأة البلاغة العربية في حضن النص القرآني الذي يتحرج المسلم إزاءه من الحديث عن أحوال المتكلم، وقد يكون هذا السبب هو -كما يلاحظ شكري عياد- نشأة هذه البلاغة في ظل سيادة المنطق على التفكير العلمي حتى في الموضوعات الأدبية، ولخدمة الخطابة أكثر من خدمة الفن الشعري، ولذلك كان أهم ظروف القول في نظر البلاغيين هو الحالة العقلية للمخاطب[122]- وأيًا كان السبب في هذا التركيز فإنه يظل إحدى ظواهر القصور التي شابت النظرة إلى فكرة "مقتضى الحال" في موروثنا البلاغي.

جـ - النظرة الجزئية: فالمطابقة التي رصدها وتتبع تجلياتها الموروث البلاغي هي مطابقة كل ظاهرة من ظواهر الأداء اللغوي -على حدة- لما يلائمها أو يقتضيها من عناصر المقام، والحق أن هذا التفتيت أو التجزيئ هو مسلك عام في علوم البلاغة التي توقفت عند نحو الجملة، ولم تكد تستشرف إلى ما يسمى "نحو النص"[123]، ومن ثم افتقدنا في تراثنا البلاغي النظرة إلى النص بوصفه وحدة كلية تتآزر عناصرها وتتشابك خيوطها في تجسيد تجربة واحدة.

الخاتمة والنتائج:

1- ظهر للبلاغيين عند معالجة النصوص الأدبية أهمية العناصر المكوّنة للرسالة اللغوية بكلّ أبعادها من المرسِل والمستقبِل وبيئة الخطاب (السياق) ونظام الرسالة النصية وشفرتها اللغوية، وقد سبقوا المناهج الحديثة فيما قدّمته من نماذج للاتصال الإنساني؛ خاصة نموذج جاكوبسون للاتصال، وأدركوا هذا الأمر مبكرًا.
2- أكد البلاغيون على ضرورة مراعاة السياق بوصفه من أهم عناصر الرسالة اللغوية، وأنّ لبّ تعريفات البلاغة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ أي السياق الذي يقال فيه هذا الكلام، وأهميته في بيان محتواه.
3- اهتم البلاغيون بتفصيل القول في بيان نوعي السياق؛ اللفظي والمقامي، وما لهما من دور في إيضاح الجوانب الدلالية للنصّ، والكشف عن مقامات المعنى في هذا النص من خلال إنارة السياق لجوانبه الدلالية.

4- أكد البلاغيون على ضرورة مراعاة السياق اللغوي بدقة بغية الوصول إلى الدلالة المنشودة.

5- إن للسياق ثلاث طرق في تحليل النص، أفضلها في الوصول إلى الفهم المثالي لدلالة النص الاعتماد على السياق بجانبيه.

6- إن فكرة السياق لم تكن لتمثل نظرية متكاملة المعالم عند البلاغيين، ومع ذلك نجد أن لبعضهم إسهامات طيبة تقترب من فهم المحدثين للسياق مثل عبد القاهر الجرجاني والجاحظ وابن قتيبة.

7- لعبد القاهر الجرجاني إشارات في تحليل التركيب مستفادة من سياق الموقف والسياق الثقافي.

8- يقوم السياق بشقيه بدور مهم في تفسير مبنى التركيب من حيث الإشارة إلى المخالفات الأسلوبية والعدول عن الأصل فيه مثل حذف أحد عناصره أو زيادته، والرتبة بين هذه العناصر تقديما وتأخيرًا وما يترتب عن ذلك من دلالات مرتبطة بالعلاقة بين السياق وهذه المخالفات الأسلوبية.

الهوامش والإحالات:

(1) حول هذه الدراسة يُنظر: محمد بنعدة، السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بن عبد الله، المغرب، 1418هـ.

(2) حول هذه الدراسة يُنظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.

(3) حول هذه الدراسة يُنظر: خلود إبراهيم سلامة العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق. مَثَلٌ من سورة البقرة، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة العربية، 1408هـ/ 1998م.

(4) حول هذه الدراسة يُنظر: نوح الشهري، أثر السياق في النظام النحوي مع تطبيقات على كتاب (البيان في غريب القرآن لابن الأنباري)، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1426هـ/ 2006م.

(5) حـول ذلـك يُنظـر: سـعيد بـن محمـد الشـهراني، السـياق القرآني وأثـره في تفسـير المدرسـة العقليـة الحديثة، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، 1428هـ/ 2006م.

(6) حـول هـذه الدراسـة يُنظر: عبـد الحكيم القاسـم، دلالـة السـياق القرآني وأثرها في التفسـير من خلال تفسـير ابـن جريـر، أطروحـة دكتـوراه، قسـم القـرآن وعلومـه، كليـة أصـول الـدين، جامعـة الإمـام، 1420هـ.

(7) حـول ذلك يُنظر: إبراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1411هـ.

(8) حـول ذلـك يُنظر: عبـد النعيم عبـد السـلام خليـل، نظريـة السـياق بين القـدماء والمحـدثين، أطروحـة دكتوراه، قسم اللغة العربية واللغات الشرقية، جامعة الإسكندرية، 1990م.

(9) حـول ذلـك يُنظـر: جـون لاينز، اللغـة والمعنى والسـياق، ترجمـة: عبـاس صـادق الوهـاب، دار الشـئون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب، بغداد، د.ط، 1987م.

(10) حول ذلك يُنظر: زيد عمر عبد الله، السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، مجلة جامعة الملك سعود، ج15، الرياض، 1423هـ.

(11) حول ذلك يُنظر: تمام حسان، قرينة السياق، بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة)، مطبعة عبير للكتاب، القاهرة، د.ط، 1413هـ/ 1993م.

(12) حـول ذلـك يُنظـر: دردير محمـد أبـو السـعود، دلالـة السـياق وأثرهـا في الأسـاليب العربيـة، مجلـة كليـة اللغة العربية بأسيوط، العدد7، 1407هـ- 1987م.

(13) حـول هـذه المجموعـة من البحـوث يُنظـر: محمـد أحمـد خضـير، التركيـب والدلالـة والسـياق- دراسـات تطبيقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2005م.

(14) حـول ذلـك يُنظـر: عيسـى شحاتة علي، سـياق الحـال في اللسـانيات الحديثـة، مطبعـة أبـو هـلال، المنيـا، د.ط، 2001م.

(15) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 1414 هـ، 166/10.

(16) ابن منظور، لسـان العـرب، 166/10، وابـن الأثير، مجـد الـدين أبـو السـعادات المبـارك بـن محمـد بـن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م،

422/2، والزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، 482/25.

(17) ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429 هـ - 2008 م، 1137/2، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، 465/1.

(18) تمام حسان، قرينة السياق، ص 375.

(19) ينظر: محمد يوسف حلبص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص 28.

(20) ينظر:الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1979م، 247/1، وأبو حيان، أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1990م، 334/8، والزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت، 6/2، والصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، 43/3.

(21) ينظر: ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، 133/2، 172.

(22) ينظر:السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيرو، ط2، 1407هـ -1987م، 162/1، 250/1، وابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، 283/2، 122/2، والقزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، 198/2، والمقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (المتوفى: 845هـ)، رسائل المقريزي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1419 هـ، 305/1.

(23) ينظر: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م، 370/1، وإبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: 943 هـ)، شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 51/2، والدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، 254/1، وابن عَبْدِ الحَقِّ العُمَرِيّ الطَّرَابُلُسِيّ (المتوفى: نحو 1024هـ)، دُرَرُ الفَرائِدِ المُسْتَحْسَنَة في شرحِ مَنْظومةِ ابنِ الشِّحْنةِ (في علوم المعاني والبيان والبديع)، تحقيق ودراسة: سُلَيمان حُسَين العُمَيرات، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1439 هـ - 2018م، 444/1، والبروجردي، محمد بن حَمَد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فُورَّجَة (المتوفى: نحو 455هـ)، الفتح على أبي الفتح، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط2، 1987 م، 256/1، والحموي، ابن حجة، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله (المتوفى: 837هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م، 180/1، وابن كمال باشا، أحمد بن سليمان، شمس الدين (المتوفى: 940هـ)، تلوين الخطاب، تحقيق: عبد الخالق بن مساعد الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط3، العدد (113)، 1421هـ، 351/1، وينظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط7، 282/1، و الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (المتوفى: 1356هـ)، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، 29/3.

(24) ينظر: القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (المتوفى: 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 494/3، وابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (المتوفى: 542هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413 هـ - 1991 م، 89/1 -115-526.

(25) Robin, R.H.: A short History of Linguistics, Longman, London, 1967, P. 213.

(26) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م، ص 68، وهدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990م، ص 80، 81.

Leech, Geoffrey: Towards a Semantic Description of English, Longman Linguistics Library, London, 1971, P. 83.

(27) Hartmann and Stork, F.C. : Dictionary of Language and Linguistic, Applied Science Publishers L.T.D, London, 1973, P. 52.

(28) Leech: Op Cit. PP 83-85.

وينظر: بالمر، علم الدلالة- إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار قطري بن الفجاءة، قطر، 1986م، ص 79.

(29) ينظر: محمود السعران، علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1962م، ص339، وما بعدها (بتصرف)، وكمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1973م، ص 58.

(30) ينظر:دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب، العراق، 1988م، ص40-41. وينظر:

De Saussure, Ferdinand: Course in general linguistics, Peter Own, London, 1964, P. 22, 88.

(31) I bid, P. 232.

(32) Firth, J.R.: Paper in linguistics, Oxford University Press, London, 1957,P. 184.

(33) للمزيد ينظر:.Robins: Op. Cit. PP. 198-240، وينظر:محمود السعران، علم اللغة، ص327-339، وأحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 54 -67.

(34) Lyons, Jhon: Semantics, Cambridge University Press, 1979, P. 607 – 609.

(35) ينظر: تعريف السياقات وأمثلة ذلك، أحمد محتار، علم الدلالة، 69 وما بعدها.

(36) ينظر: بالمر، علم الدلالة، ص69، 141.

(37) Richards, Platt and Weber: Longman Dictionary of Applied Linguistics, Longman, 1985, P. 61-62.

وينظر: الحديث عن السياق الاجتماعي Social context، ومكوناته Ibid, P.260.

(38) ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، 1975م، ص 58، وينظر:Ibid, P.61.

(39) مصطفى ناصف، اللغة بين البلاغة والأسلوبية، كتاب النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1989م، ص 434.

الآداب مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

(40) Firth: Op, Cit. P. 26.

(41) Ibid, P. 121.

وينظر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، ط1، 1982م، ص 142.

(42) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص68-69.

(43) ينظر: جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط1،1987م، ص2018-222، وما بعدها.

(44) ينظر: هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص260، 261.

(45) ينظر: محمود السعران، علم اللغة، ص 339، وكمال بشر، دراسات في علم اللغة، 58، وينظر: بالمر، علم الدلالة، ص77.

(46) ينظر: بالمر، علم الدلالة، ص 74.

(47) ينظر:نفسه، ص 76، 77.

(48) ينظر:نفسه، ص 77.

(49) ينظر: محمود السعران، علم اللغة، ص339، وينظر: بالمر، علم الدلالة، ص 81، وما بعدها.

(50) ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص 58.

(51) نفسه.

(52) ينظر: عز الدين إسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان 3، 4، إبريل وسبتمبر 1987م، ص42.

(53) نفسه، ص 44، وينظر: هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص 354، 355، وينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م، ص337 وما بعدها.

(54) ينظر: محمد حبلص، البحث الدلالي، ص33-42.

(55) محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة، ط1، 1403هـ/ 1983م، ص98.

(56) نفسه، ص 33، 36.

(57) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي ببيروت، ص52.

(58) نفسه، 53-54.

(59) شكري محمد عياد، اللغة والإبداع مباديء علم الأسلوب الأدبي، ط1، 1988م، ص129.

(60) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 80/1، وينظر:التفتازانى، مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني، مطبعة محمد صبيح، القاهرة، ط1، 1347هـ، 100/1، والبناني، تجريد البناني على مختصر السعد، مطبعة محمد صبيح، القاهرة، ط1، 1347هـ، 100/1.

(61) ينظر: بدوي طبانة، البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1976م، ص 425.

(62) ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم 164، الكويت، أغسطس، 1992م، ص113.، ص109.

(63) نفسه، ص113.

(64) ينظر: ابن طباطبا العلوي كتاب عيار الشعر، تحقيق: عبدالعزيز المانع، الرياض، 1985م، ص203.

(65) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 24/1.

(66) ينظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (المتوفى: نحو 395هـ)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ، 36/1.

(67) ينظر: نفسه، 163/1-164.

(68) صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص265، ومع هذا فإننا لانعدم أن نجد في نصوص الشعر القديم بناء الجملة يطول ليشمل عدة أبيات في القصيدة -قد تصل إلى ما يقرب من نصف القصيدة- وغالبًا ما تكون هذه الجملة الطويلة في القصيدة هي الصورة الشعرية فيها، ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار القلم، الكويت، ط1، 1982م، ص 492 - 525، حيث ذكر نماذج متعددة لهذه القصائد، وقد استغرقت جملة فيها عشرين بيتًا من قصيدة عدتها سبعة وخمسين بيتًا وهي لكعب بن زهير، وجملة أخرى استغرقت ستة وثلاثين بيتًا من قصيدة تبلغ عدة أبياتها اثنين وخمسين بيتًا وهي من شعر أوس بن حجر.

(69) ينظر: ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، سر الفصاحة، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح، القاهرة، 1969م، ص 54، والعلوي، يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، 1914م-1332هـ، 104/1، 221/3.

(70) ينظر: سر الفصاحة، ص87، والطراز، 109/1.

(71) ينظر: الطراز، 109/1، والإيضاح، 72/1.

(72) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق وشرح:محمود شاكر، مكتبة الخانجي، 1984م، 403/1-403.

(73) نفسه، 404/1.

(74) نفسه.

(75) ينظر: المثل السائر 166/1.

(76) ينظر: المثل السائر، 1/ 163-164.

(77) ينظر: نفسه، 185/1.

(78) ينظر: تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل وسبتمبر،1987م، ص 24 وما بعدها.

(79) ينظر: نفسه، ص25.

(80) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م، 345/36، حديث معاذ بن جبل(22062)، وابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، 1314/2، باب كف اللسان في الفتنة(3973)، والحديث أخرجه أحمد والترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجة كلهم من طريق أبي وائل عن معاذ مطولًا، وأخرجه أحمد أيضا من وجه آخر عن معاذ، ينظر: أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، تحقيق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت، ، ط1، 1426 هـ - 2005 م، 2307/3(1602).

(81) تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، ص25.

(82) Van Dijk, Teun A. La Cienciadel Texto P. 80.

نقلًا عن: صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص 26.

(83) أرسطو، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، بغداد، 1980م، ص196، وينظر: أرسطو، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، 1979م، ص202، 225.

(84) ينظر:الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: 518هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، وقد ذكر في 202/2، ضمن جزء من مثل آخر وهو لكل مَقَامٍ مَقَال، ولكل دهرٍ رجالٌ.

(85) الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان، (المتوفى: 255هـ)، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424 هـ، 1/ 132.

(86) نفسه، 3/ 19.

(87) نفسه، 3/ 174.

(88) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج 1-2، 1960م، ج 3-4، 1961م، 136/1.

(89) نفسه، 138/1-139.

(90) ينظر: الحيوان 19/3.

(91) ينظر: البيان والتبيين 76/1.

(92) نفسه، 86/1.

(93) نفسه، 83/1.

(94) ينظر: إبراهيم الدسوقي، جهود البلاغيين العرب في مجالي الأصوات والدلالة في ضوء علم اللغة الحديث، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، 1988م، ص98-113.

(95) ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص57.

(96) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 372.

(97) ينظر: تمام حسان، الأصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ص338.

(98) مفتاح العلوم، 168/1

(99) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 42/1-43.

(100) تمام حسان، المصطلح البلاغي، ص29.

(101) ينظر: طاهر حموده سليمان، دراسة المعني عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1983م، ص225.

(102) ينظر: بدوي طبانة، البيان العربي، ص221، والجدير بالذكر أن الجاحظ (ت 255هـ) له كتاب بعنوان "نظم القرآن" ذكره الزمخشري في مقدمة تفسيره.الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل، مطبعة الحلبي، 1972م، 15/1.

(103) سورة يوسف، الآية (82).

(104) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، 422/1.

(105) سورة يوسف، الآية 18.

(106) سورة النحل: 117.

(107) أسرار البلاغة، 422/1-423

(108) ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص 149 وما بعدها.

(109) Lyons : Semantics, Vol 2, P. 609

وينظر:أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص71.

الآداب للدراسات اللغوية والأدبية
مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
1
العـــــدد الأول
ديسمـــبر 2019

(110) أسرار البلاغة 389/1.

(111) سورة الجاثية، من الآية 24.

(112) ليس المقصود بمعنى المعنى هنا تعريف المعنى على غرار ما صنع رتشاردز وأوجدن في كتابهما "معنى المعنى" The Meaning of Meaning، ولكن المقصود هنا المعنى الثاني المتولد عن معنى أول، فالمعنى هنا منسوب إلى المعنى، أو بعبارة عبد القاهر "أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"، ينظر: دلائل الإعجاز، 1/ 263.

(113) ينظر: نفسه، 1/ 262.

(114) ينظر: قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر، ص39.

(115) دلائل الإعجاز، 1/ 431.

(116) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص13، 15.

(117) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، (المتوفى: 255هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، 135/1-136.

(118) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (المتوفى: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3 1413هـ - 1992م، 1/ 87.

(119) مفتاح العلوم، 177/1.

(120) الإيضاح في علوم البلاغة، 69/1-70.

(121) ينظر:صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 111، وينظر:تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم، ص29.

(122) ينظر: شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، د.ط، 1982م، ص47.

(123) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، 2003م، ص71.